

المدرّب الأحمر

النوم لنا يأتي لهذا الحيّ ، بل إن المساء

يعطيه بعض نجومه ، حتى يضئ إلى الصباح

فتظل ساهرة مقاهيه التي تمتد من (سوق السلاح)

وعلى جوانبها المقائق ، والمسميط ،

وكل أنواع التسالي

..

والجالسون يحركون الزهر في عصبية ،

ويناقشون بلا انتهاء

عُقدَ السياسية ، والرياضة ، والنساء!

..

كانت لشلّتنا الصغيره

جلسة مأدوفة فى ركن مقهى ..

نتقاسم الأضرّاح فيها ، والمشاعر ، والمهموم

..

وتدور أغنية لـ (سومه!)

فتشير فى الأعماق أشجانا ،

وتبعث فى المضلوع رؤى قديمه

..

ومع ارتشاف الشّاي تنكشف الغيوم

ويقول قائلنا :

- أليس المرء موجوداً لينعم بالحياة ؟!

والذكريات تباعدت ،

فلم التباكى كلما مرت علينا الذكريات ؟!

قد يبسم الغدُ للحزين ،

وتستجيب على مدى الأيام .. أغلى الأمنيات !

..

ويشوقنا أن نذرع الحارات فى ليلِ الشتاءِ،

من (المؤيّد) لـ (الرفاعى) ..

متحدثين عن المعارك ، والسيوفِ ،

وعن مقاومة القلاع ..

وبأى بادرة تجرّ ذلك المملوكُ ،

فاستعدى الحصانَ الحرَّ،

كى ينجو بفارسِه الشجاعِ..

* □ *

ونغوصُ فى الأَمسِ البعيدِ..

وقد تزيّنتِ المدينةُ لاحتفالاتِ الخلافةِ

وتواصلتُ فى المولد النبوىّ راياتُ المواكبِ،

والمشاعلُ، والمليالى الفاطميةُ

هذى شواهدها تُحدِّقُ من عيونِ المشريه

لكننا نهفو إلى حطّينَ،

يَقْدُمُها صلاحُ الدينِ منتصراً،

ويعفُو عن ملوكِ المَغْرَبِ،

يظهرُ بالمخصالِ القاهرةِيةُ!

[]

وهنا.. تجمّع حول بيبِرسِ المفضّي..

ألفُ فارسُ

وتعاهدوا أن يُوقفوا زحفَ المتتارِ..

إلى المأبّد

..

ماذا جرى ؟

ويضيفُ قائلنا:

- ألسنا من سلاّتهم ،

وهذا الشبلُ من ذلك الأسدُ ؟!

[]

ونكون قد صرنا .. إلى (باب الوزير).

حيث المداخنُ، والشواهدُ، والقبورُ

يغدو حديث الجن شاغلنا،

فنفرغ ما لدينا من حكاياتٍ،

ويقربُ خطونا من خطو بعضُ

ويلفنا صمتُ المكان .. فننتفضُ!

* □ *

المصبح في تلك الأزقة لا يفاجئنا ..

فتصحو .. في ارتخاءٍ

تنتفضُ الشرفاتُ عن بعض المعجائزِ،

والنساءِ المكاسياتُ!

يحكين كيف مضى المساءُ؟

ومتى احتوى أزواجُهن البيتُ ؟

أى رطوبة هبطت قُبَيْلَ الفجرِ ؟

ما هذا الشتاءُ ؟!

* □ *

ومن الدروب الضيقةُ

تخطو الصبايا الكاعباتُ ،

لتشترين الفول ، والمخبزَ الطرىّ ،

وتجتمعن على الحليبِ

(والمأسطواتُ) من المحلات الصغيرة ،

يرقبون وهم قعودُ

لَفَ (المرآية) ،

واحمرارَ المكَّعِبِ ،

والموَّعَدَ المغلَّفَ بالمصدودِ !

* □ *

وتلوح سائحة رشيقة

فيصيح بعض المعجبين :

- الله يعطى من يشاء !!

ويردّ بعضُ الجالسين :

- الحُسْنُ فى الكفّارِ فتنه

يهوى بهم نحو الشقاء !

* □ *

ويثور مندفعاً شجارٌ

أسبابُه معروفةٌ لجميع من يتجمَّعونَ

فيسارعون ليوقفوا طيَّشَ الأكفِّ

ويطفئوا غَضَبَ العيونِ!

" صلوا على طه النبيّ!"

وبسرعة يتفرقونْ

" فالיום .. مطلعُهُ بهي!"

**

وإذا تمر جنازة ،

يقف الجميع موجَّدينْ

ومتتمين .. بأن هذا العمر - مهما طال - محدود ،

وأن الراحلينْ

لم يستفيدوا من (مكاسيها)

سوى ما قدّموه .. بطيب خاطرٍ

والله أعلمُ بالسرائر!

* □ *

يمضى الزمانُ،

وذلك الحىّ المعمّر قائمٌ لا ينحنى ..

نفسُ الوجوه هى الوجوه،

ونفسُ هذه الأمكنه ..

ولربما حاكى مساجده التى قامتُ هنا ..

من ألف عامٍ!

أو ربما حاكى مقابره التى تمتصُّ من نهر الحياة ..

على الدوام!

أو ربما كانت له أسرارُه الأخرى ..

وويلٌ للذي يسعى .. لينكشف اللثامُ !
